الرسائل السياسية

تعريفها:

هي الرسالة التي تكتبُ نثرا وتتناول شأنا سياسيّا من شؤون الأمّة. ويصدر عن شخصيّة سياسيّة عامّة في العادة، وللرسالة السياسيّة بعد تداولي وآخر جمالي. كما أنّ لها قيم سياسيّة وحضاريّة بالغة الأهميّة. وهي فن نثري متعلقٌ بظهور الأمّة الإسلامية عموما.

نشأتها:

ولعلّ أول من كتب الرسالة هو الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها للإسلام. فلم يذكر المؤرخون هذا النوع من الكتابة الفنية في العصر الجاهلي. ومن أمثلة الرسائل السياسية رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم لكسرى ملك الفرس، ولهرقل عظيم الروم. ومن رسائله أيضا العهود والمواثيق كتلك التي كانت في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، والمعاهدات بين المسلمين وكفار قريش وبين المسلمين ويهود المدينة. من أمثلة الرسائل أيضا تلك التي كانت موجهة لعمال وولاة الدولة الإسلاميّة. وقد تواصل تدفق الرسائل في عهد الخلفاء الراشدين والملوك من بعدهم. وتعزز دور الرسائل السياسية في العهد الأموي والعباسي نظرا لتعقد الحياة السياسيّة والصراع حول السلطة وحول الشرعيّة.

ومن رسائل العصر العباسي: رسائل العهود والمبايعات، ورسائل الأمان وطلب الهدنة، والمصالحة، ورسائل الهدنة وطلب المصالحة، ورسائل الإنذار وطلب الطاعة ورسائل الخلفاء إلى الولاة والحكام والعمال في تصريف شؤون الدّولة ورسائل التهديد والوعيد ورسائل الفتوح والتبشير بها ورسائل الإصلاح. وكل هذه الأغراض كما هو واضح ذات طابع سياسي، ولذلك سميت رسائل سياسيّة.

من أهم فنون النثر في العصر الأندلسي، ُ وبالانتقال إلى العصر الأندلسي وجد أن الرسائل هي من أهم فنون النثر, والملاحظ أن كتابها هم من فرسان الشعر الأندلسي، حيث استخدموا مواهبهم الشعرية وذوقهم الأدبي ُ للارتقاء بأساليب تعبيرهم والتفنن فيه، وتنوعت الرسائل في شتى المجالات منها الرسائل السلطانية التي كانت تصدر عن ديوان الخليفة موجهة للعمال والقادة والأعداء ورسائل الأمان والمبايعة والبشائر.

نماذج من رسائل النبي صلى الله عليه وسلم:

رسالة هرقل ملك الروم:

" بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 64.

تحليل الرسالة

وفي التحليل السياسي لهذه الرسالة نجد الآتي:

· استخدم النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - في وصفه الوظيفي (رسول الله) وليس نبي الله مثلاً، وذلك من أجل أن يفهم هرقل ومن يسمع معه أن محمداً -صلى الله عليه وسلم- يوحى إليه من أجل التبليغ للناس كافة، فهو لم يكن نبياً لقومه (للعرب) خاصة[2]، كما كان دور الكثير من الأنبياء الآخرين من قبله، حيث كانوا يبعثون لأقوامهم خاصة، وخاصة أنبياء بني إسرائيل، ومن الأنبياء من لم يبعث لأحد.

· جاءت الكلمات الآتية حسب تسلسل ورودها في الرسالة: (سلام، الإسلام، أسلم، تسلم، وأسلم، مسلمون) وهذه الكلمات تدل على السلام والأمن، وفكرة استخدام مفردة السلام شائعة لدى النصارى، فإذاً هو - صلى الله عليه وسلم - يخاطبهم بمنطقهم الذي يزعمون للناس في أنهم يرغبون بنشر السلام في الأرض، فالرسالة تقول أن ما جاء إليكم مني إنما هو من نفس المشكاة التي تؤمنون بها، جاءت لنشر السلام الذي تتكلمون عنه، كما جاءت لتصحيح ما زور وبدل في مساركم.

· الدعوة في الرسالة كانت بدعاية الإسلام، (أدعوك بدعاية الإسلام) في حين في رسالته - صلى الله عليه وسلم - لكسرى كانت (بدعاية الله)، لأن النصرانية ليس لها مشكلة في قضية إيمانها بالله سبحانه وتعالى، ولكن مشكلتها في اختراع ابن لله سبحانه وتعالى، وإن الإسلام كمنهج عقدي يتناول هذه القضية الجوهرية ويعالجها علاجاً جذرياً.

· لأن هرقل كان على دين النصرانية، فقد ختمت الرسالة بآية قرآنية، لأن عقلاء النصارى يستطيعون أن يميزوا كلام البشر عن كلام الله سبحانه وتعالى، لخبرتهم واطلاعهم ومعرفتهم بالإنجيل من قبل وربما التوراة أيضاً، فبالتالي تعطي هذه اللفتة قوة للرسالة في التأثير النفسي على هرقل ومن عنده، لما فيها من تأييد أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - رسول من الله سبحانه وتعالى.

· عالجت الرسالة ضمن الآية القضية التي أخطأ فيها قوم هرقل واتباعه باتخاذ (الأرباب من دون الله)، وإن أحبارهم ورهبانهم هم الذين يستعبدون الناس، وإنما جاء الإسلام لمعالجة الأمر أيضاً، فلا رب إلا الله سبحانه وتعالى.

· أشارت الرسالة إلى الأريسيين، وهم أما أن يكونوا بسطاء الروم وضعفاءهم ومزارعيهم، فيكون القصد في أن رئاسة الناس أمانة في عنق حاكمهم، فإن أظلهم فسيبوء بذنوبهم، لأن الناس على دين ملوكهم، وأما أن يكون الأريسيون هم من على عقيدة أريوس ذلك الرجل المصري النصراني الذي دعا إلى توحيد الخالق جل جلاله وأن المسيح ليس ابن الله، وأصبح له اتباع كثيرون، فهنا يكون مراد الرسالة أن الكثير من الروم تدعوهم فطرتهم لأن يكونوا موحدين لله جل جلاله، وإن هرقل قد أفسد عقيدتهم التي هي أقرب ما يكون لما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم.

عموماً فإن الرسالة فيها الحسم والوضوح في طرح أكثر من قضية بشكل مباشر وصريح، ولم تكن لهجتها شديدة أو عنيفة، بل انطوت على الكثير من الرقة واللطف والدلائل الواضحة المقترنة مع قوة الموقف.

رد قيصر عظيم الروم:

" ٠ إلى أحمد رسول الله الذي بشر به عيسى؛ من قيصر ملك الروم، إنه جاءني كتابك مع رسولك، وإني أشهد أنك رسول الله، نجدك عندنا في الإنجيل، بشرنا بك عيسى بن مريم، وإني دعوت الروم إلى أن يؤمنوا بك فأبوا، ولو أطاعوني لكان خيراً لهم، ولوددت أني عندك فأخدمك وأغسل قدميك]"3.[

التحليل السياسي للرد:

٠ اعترف قيصر في رسالته بعلو مكانة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - عليه وعلى ملكه، وأبدى ذلك من خلال ابتداء رسالته باسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قبل اسمه هو، وهذه الخصلة موروثة بالنسبة له لأن بني إسرائيل كانت تسوسهم أنبياؤهم.

٠ إن قيصر أجاب بغاية الوضوح باعترافه برسول الله - صلى الله عليه وسلم - واستخدم اسم (أحمد) الذي بشرهم به عيسى عليه السلام، وفي ذلك دلالة على عمق الإيمان بالموضوع وقراءته للإنجيل من قبل، ومعرفته للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - حق المعرفة.